بحيث يحتاج الى مجاهدة فى دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة
الصنف الثالث ان تكون وسوسته موجودة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر فى
غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب
الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساويا وان يتجاذبا حتى يكون الفهم مشتملا على معنى فهم القراءة وعلى تلك
الخواطر كانهما فى موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر
ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه
بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا فى قلب
استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار
ركعتين وركعات فى مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر فى محادثة
محبوبه بقلبه ويغوص فى فكره بحيث لا يخطر بباله غير محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد
بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور الخوف
من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة
هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن فى محل مخصوص
وبالجملة فالخلاص عن الشيطان فى لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا بعيد وهو محال
فى الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روى انه نظر الى علم ثوبه فى الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال صلى الله عليه وسلم
شغلنى عن الصلوة وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم
وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم
الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمى والمفارقة
فما دام يملك شيا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان فى صلوته عن الفكر فى ديناره
كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك
من الوساوس فمن انشب مخالبه فى الدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل
فظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال والدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان يأتى ابن ادم من قبل المعاصى
فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان ابى امره بالتحرج والتشدد حتى يحرم ما
ليس بحرام فان ابى شككه فى وضوئه وصلوته حتى يخرج عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى
يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه اخر
درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقليب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرنا تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه الاثار
والاحوال من الابواب التى وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شىء
فتأثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فيغير وصفه فاذا نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك به
التفت القلب اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه
ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين
وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله جل وعز فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به
فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله
فقال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفى لفظ اخر
ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة امثلة فقال
مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا.
وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى
فى تقليبها من حيث لا يهتدى اليه ولا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله تعالى فالقلوب
فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق تنفلق فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر
فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم
بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى
جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا
له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك
على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب فى الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من
مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء
ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شىء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف
القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على
القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا
والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى اقبل الله عز وجل عليه بوجهه وهو القلب
المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة. القلب

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)